رأي القدس

هنية والسابقة الخليجية المشرفة

■ يواصل السيد اسماعيل هنية رئيس وزراء السلطة الوطنية الفلسطينية جولته العربية والخليجية التي تعتبر الاولى من نوعها، حيث توقف في دولة قطر وينتقل بعدها الى دولة الامارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية قبل ان يتوجه الى ايران وسورية ولبنان.

اللافت في هذه الجولة، ان السيد هنية يلتقي بافراد الجالية الفلسطينية في كل محطة من محطات جولته، يطلع على مشاكلها، ويستمع الى آراء قياداتها، ويحاول بقدر الامكان ايجاد حلول لها مع المسؤولين في الدول المضيفة.

فعندما توقف في القاهرة حرص على زيارة جرحى المجازر الاسرائيلية في بيت حانون وباقي مدن القطاع الذين يتلقون العلاج في المستشفيات المصرية، وعندما زار الدوحة التقى بافراد الجالية واستمع الى قضاياهم ومشاكلهم، وحملها الى امير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، الذي تعهد بدفع رواتب 40 الف مدرس فلسطيني في الضفة والقطاع، علاوة على 11 الف طبيب وممرض وموظف من العاملين في القطاع الصحي، والاهم من ذلك تجاوبه مع مطالب الجالية الفلسطينية في قطر بالسماح بفتح مدارس فلسطينية لابنائها بسبب ارتفاع نفقات التعليم الخاص التي لا يستطيع فقراء الجالية تحملها.

السيد هنية سجل سابقة بسلوكه هذا كشفت عن الاسباب الحقيقية التي جعلت الكثير من ابناء الجاليات الفلسطينية في المنافي لا يثقون بالمسؤولين في السلطة او منظمة التحرير من قبلها. فقد جرت العادة ان يأتي بعض المسؤولين الفلسطينيين الى دول الخليج ليس من اجل التعرف على هموم الجالية المقيمة فيها ومشاكلها، وانما للبحث عن مشاريع وعمولات لبعض ابنائهم الذين يصطحبونهم في زياراتهم هذه، او لوكلائهم في هذه الدول الخليجية او تلك.

فمن المؤسف ان الكثير من المسؤولين الفلسطينيين الكبار كانوا، وما زالوا، يتقدمون الى المسؤولين الخليجيين بقائمة من الطلبات والمصالح الخاصة، حتى اصبح سفراء في الكثير من دول الخليج عبارة عن وكلاء اعمال لابناء المسؤولين، او شركاء لهم او من يرشحونه من رجال اعمال فلسطينيين في هذه الدول.

وعندما يكون هم المسؤول تأمين المصالح والصفقات التجارية لابنه او صديقه او شريكه، فانه من الطبيعي ان لا يبحث في هموم الجالية الفلسطينية، او يلتقي افرادها، ويحاول تخفيف معاناتهم في التعليم والطبابة والاقامة في الدول المضيفة، لان هموم هذه الجالية وابنائها تحتل مرتبة متدنية على قائمة اهتمامات هؤلاء، وجداول اعمال زياراتهم.

الجالية الفلسطينية، وخاصة في منطقة الخليج العربي، كانت دائما الدجاجة التي تبيض ذهبا بالنسبة الى منظمة التحرير والشعب الفلسطيني، لانها تحملت دائما عبء دعم المنظمة وصمود المرابطين المقاومين في الضفة والقطاع، ومع ذلك لم تلق الاحترام والتقدير اللذين تستحقهما من المسؤولين الفلسطينيين.

وهذه التصرفات الفاسدة من قبل المسؤولين الفلسطينيين السابقين هي التي جعلت ابناء الجالية، بل ومعظم ابناء الشعب الفلسطيني يقلبون الطاولة، ويخلطون الاوراق في الانتخابات الاخيرة، ويصوتون ضد كل رموز فساد المرحلة الماضية، ويسقطون حكومتهم، ويختارون ممثلي حركة «حماس» طلبا للتغيير.

السيد اسماعيل هنية في جولته الاولى، قدم نموذجا طيبا للمسؤول الفلسطيني الذي يضع هموم ابناء وطنه على قمة اولوياته، وليس مصالح ابنه او شريكه او المقربين منه من الفاسدين.

خيارات التدخل السعودي في العراق

د. مضاوي الرشيد *

■ لكل تدخل عسكري صريح ومفضوح شعار يغطي صراحته ويضلل اهدافه الحقيقية. ومن هذا الباب جاءت تصريحات مستشاري الامن السعوديين عن الدور المستقبلي الذي ستلعبه السعودية في حال انسحاب القوات الامريكية المحتلة للعراق. ترفع السعودية اليوم شعار حماية اهل السنة في العراق وهو شعار خلاب جذاب تحشد خلفه النفوس وتؤجج اكثر المشاعر بدائية وهمجية. وهي مشاعر تعد بتأجيج نار فتنة هي بالفعل قد بدأت والتهبت. رفع هذا الشعار في لحظة خاصة يمر بها النظام السعودي ولها علاقة بالداخل السعودي نفسه وليس بالوضع السني العراقي.

اكثر من اي وقت مضى يشعر النظام السعودي انه بحاجة الى موقف ينتشله من حالة التشرذم الداخلي وتململ رعيته ذات الاكثرية السنية من سياساته الداخلية والاقليمية والعالمية. داخليا يمر النظام السعودي بمرحلة تشكك فيها اطياف كثيرة في مواقفه السياسية بدءا بقبوله ضمنيا بخطة الولايات المتحدة لاحتلال العراق مرورا بقبوله بالموقف المتفرج على مذابح الفلسطينيين «السنة» التي تقوم بها اسرائيل بمباركة امريكية وصولا الى تقويض دعائم المجتمع اللبناني في مرحلة ما بعد حرب اسرائيل الصيفية.

التململ السعودي الشعبي الداخلي يظهر بوضوح لكل متابع للسياسة المحلية وتطورها حيث ان هذه السياسة تطل برأسها بشكل ملتو ومعوج من خلال انشطار المجتمع السعودي بدعم النظام ذاته الى فصيلين يتحاربان ويتعاركان في المنتديات الثقافية والأدبية والحوارات المسماة وطنية. يعلم النظام ان تصدع الداخل السعودي لن يحله سوى الانخراط في حرب الشعارات ونصرة سنة العراق جزء من استراتيجية نظام يقف حائرا امام بروز تيارات لم يعد باستطاعته كبح جماحها في الداخل ذاته.

وبما ان كل السياسة محلية جاءت مقالات المستشار الامني او ما يسمى كذلك لتعد الشعب السعودي بنصرة سنة العراق من باب انتشال النظام من مأزقه الحالي. هذا الخطاب يروق ايضا لقراء «الواشنطن بوست» والذي يرسم لهم مأزق العراق وكأنه سيكون اسوأ بكثير عندما تنسحب القوات الامريكية، حيث ستدخل السعودية الى حلبة المصارعة بكل ثقلها النفطي وليس العسكري، اذ لا عسكر لها كما ثبت تاريخيا، ستطفح بئر النفط وتفيض بمحتوياتها لتغرق السوق وتكسر الاسعار وهذا طبعا يروق لمستوردي النفط وستضرب عدو امريكا الاول ايران حتى ترتدع ويتم تحجيمها بعد ان عانت من تضخم الانا ومقابل هذا التضخم ستقوم دولة الخيلاء السعودية بواجبها الديني تجاه السنة تماما كما حددته الولايات المتحدة.

يذكرنا هذا الموقف بموقف سعودي عمره اكثر من نصف قرن عندما كانت بريطانيا تتفاوض مع الاردن لسحب جيشها وانهاء وجودها العسكري في الاردن حينها هدد ملك السعودية بأنه سيعود ويطالب بمعان والكرك في حال انهاء هذا الوجود البريطاني.

واليوم تهدد السعودية بالتدخل في العراق في حال خروج الجيش الامريكي لحماية السنة وكأنها تطرح نفسها بديلا لاحتلال لم يحم السنة بل اشعل نار الفتنة بين اطياف المجتمع العراقي.

ما يهمنا اليوم هو الخيارات السعودية المتاحة لتفعيل التدخل السريع في العراق تحت شعار حماية السنة ونصرتهم. لا يوجد في السعودية قوات تدخل سريعة ولكن فيها من السيولة كما هو معروف لتدخل عن طريق الـProxy ـ رابط تحركه من الرياض بعد ان يتحرك رابط واشنطن ـ الرياض.

اي رابط ستستعمل السعودية في غياب التدخل المباشر اذ ان العمل العسكري السعودي منذ ايام الكابتن وليام شكسبير ووصولا الى الجنرال شوارتزكوف يظل رهينة هذه الشخصيات والتي قد تطغى على فرسان الصحراء في ساحة الوغى رغم ان هؤلاء الفرسان يظهرون في الفروسية الاسطورية ما يملأ مجلدات وموسوعات كبيرة.

هل سيكون الرابط المهيئ والمنفذ للتدخل السعودي شيخ العشيرة الذي يستضاف في الرياض ويعطر ويبخر ويكسى بالثياب التقليدية ويؤتى من الأتاوات ما يجعل باستطاعته تجييش عشيرته ام هو البعثي المرتد والذي يأتي معطرا مبخرا جاهزا لحلقات اعلامية وترويج منظم على شاشات الفضائيات السعودية والذي يحسب على اهل السنة والجماعة من مبدأ البراغماتية رغم انه يجمع بين التشيع والعلمانية، ام هو الشيوعي سابقا و«المتلبرل» حاليا بعد دروس في اللبرالية درسها بعد احتلال العراق في مراكز الابحاث الامريكية الحرة او المسماة هكذا، ام هو عالم دين يصاغ في قالب اشبه ما يكون بقالب هيئة كبار العلماء السعودية، ام انه ناشط اسلامي يستقطب وينتقى من جوقة حكومة المنطقة الخضراء العراقية كما يحصل حاليا للتيارات الحركية السعودية والتي ترى كفرا بواحا في كل مكان خارج السعودية وتغض البصر عن مثله داخل هذه الحدود؟ واخيرا هل الرابط سيكون «أبو حمزة» و«أبو ذر» المهاجرين اللذين قطعا الامل في امة الاسلام السعودية بعد ان خدرها النفط وضللها النظام السعودي؟

سيكون الاختيار صعبا امام هذا الموزاييك المعقد والمتشابك في مرحلة حصل فيها من التقاطع والتصادم والتشرذم ما يجعل النظام السعودي في حيرة من امره.

ليس هناك من شك ان المستشارين سيختارون الأكثر تهيؤا لقبول التدخل السعودي الموعود خاصة بعد ان تتم دراستهم من قبل الدارسين الامريكيين المعروفين. وسيبرز الرابط المختار قريبا بل ربما يعلن عنه بشكل مباشر.

ينذر التدخل السعودي الموعود بتفجير المنطقة ليس العراقية فقط بل العربية كلها. ستكون حربا عشوائية لن تستطيع السعودية ذاتها ان تحمي نفسها منها بجدار او ما شابه ذلك. تعلم السعودية جيدا ان تداعيات تدخلاتها في دول الجوار بدأت بافغانستان حيث لم تستطع ان تستوعب تداعيات المرحلة الافغانية ولكنها لا تتعلم دروسا من تاريخها اما بسبب قصر النظر واما بسبب تبنيها للمصلحة الضيقة والتي تحصر ببقاء الملوك على العروش وتحت حماية ووصاية خارجية ولو كان هذا البقاء على حساب شعب كامل يعاني من مشاكل اجتماعية وسياسية وحتى نفسية من كثر التناقضات التي يعيشها.

لن ينتشل شعار نصرة سنة العراق وتحجيم المد الايراني الشيعي النظام السعودي من مأزقه الحالي ولربما يستطيع الشعار ان يحل الازمة في المرحلة الحالية ولكن في المدى البعيد ستكون عاقبة تمويل الحرب الاهلية العراقية وخيمة قد تطيح بأكثر العروش حماية تماما كما حصل لملوك اوروبا عندما دخلوا في صراع مرير ومولوا حروبا دينية راح ضحيتها من الكاثوليك والبروتستانت ما جعل هؤلاء ينفضون عنهم الوصاية الملكية التي اججت صراعاتهم العقدية وغذت حروبا طويلة خرجت منها اوروبا بتركيبة تختلف تماما عن نمطها السياسي الذي عهدته خلال عصورها السابقة.

يقتتل اليوم السني والشيعي في الساحة العراقية وفي ساحات الانترنيت بتغذية ملوك العرب ورؤسائهم بمعاونة الجيران القريبين والبعيدين. تدخل السعودية الصريح في حرب العراق لن يمر بسلام ولن تخرج منه القيادة السعودية منتصرة اذا كنا نقرأ التاريخ لنستفيد من دروسه وليس لنمجده ونعيش على اطلاله. سينغمسون في المستنقع العراقي كما انغمس غيرهم وسيخرجون بهزيمة واضحة وصريحة. كذلك لن ينتصر رابطهم مهما احسنوا الاختيار اذ ان معطيات الوضع العراقي وافرازات الاحتلال الامريكي ليست بمستوعبة بعد على صعيد الداخل السعودي والعربي الاقليمي. افرزت هذه الساحة عنفا معولما من جهة ومخصخصا من جهة اخرى. تفيض المنطقة بالسلاح الشارد والذي يجد طريقه الى زنود المغامر والمقامر والمأجور والوطني الصادق. المنطقة اليوم انتقلت من مرحلة العنف المركزي والذي تحتكره الاجهزة العسكرية والاستخباراتية الى مرحلة العنف اللامركزي والذي يعبر عن نفسه بطرق مختلفة منها حركات مقاومة واخرى مرتزقة مأجورة. وبينما يظل العنف المركزي مدعوما الا انه اثبت عدم جدواه في استيعاب انماط مختلفة من العنف المخصخص والمستشري في بنية المجتمعات العربية من محيطها الى خليجها. بعض هذا العنف يدعم بل يخلق من قبل الانظمة ذاتها ليحارب نيابة عنها. هذا الوضع لا يسهل استيعابه مهما استورد من طائرات واجهزة قمعية اذ انه يجد المخبأ الآمن في خلايا المجتمع بتركيبته المعقدة القبلية والدينية والاثنية. خصخصة هذا العنف افراز مباشر لسياسة القمع المتبعة من قبل الانظمة بما فيها السعودي ووعد السعودية الجديد ما هو الا امتداد لسياسة عمياء وجبانة ترفض ان تعترف بهزيمة ليس فقط سياستها الداخلية بل ايضا سياستها الاقليمية.

تتلون السعودية في مواقفها السياسية حسب الظروف ولكن لها ثابتا واحدا متفقا عليه الا وهو المضي في المشروع الامريكي من نيكاراغوا الى افغانستان مرورا بالعراق ولبنان. نتمنى ان يعي سنة العراق مخاطر الانزلاق في المخطط السعودي الجديد ويقروا ان عدو عدوي ليس دوما صديقي.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

جولات وصولات بوش الخائبة

عوني القلمجي *

■ يدلل استدعاء جورج بوش لنوري المالكي الى العاصمة الأردنية عمان وبطريقة مذلة ومهينة، على حجم المأزق الذي تعاني منه الادارة الامريكية في العراق، وعلى سعة الضغوط السياسية الكبيرة التي يتعرض لها بوش، من قبل الحزب الديمقراطي ومن لجنة بيكر ـ هاملتون، وحتى من داخل حزبه، ناهيك عن تدني شعبيته الى اقصى الحدود. فالكل يطالب بوش باعادة النظر في استراتيجيته الفاشلة في العراق، وايجاد مخرج لتجنب السقوط المدوي، ويبدو ان مطلب وضع استراتيجية جديدة قوامها الانسحاب باي طريقة من العراق مع الاحتفاظ بماء الوجه اصبح ضروريا وملحا. ولحين توفر الظروف المناسبة للانسحاب، تضيف لجنة بيكر ـ هاملتون مقترح اشراك دول الجوار لتقديم مساعدات اكثر فاعلية وخاصة من قبل سورية وايران، ويذهب وزير دفاعه الجديد روبرت غيتس ابعد من ذلك، ويرى الحل في تدويل المسألة العراقية. وعلى الرغم من قدرة بوش على تجنب الضغوط والتوصيات او الالتفاف عليها، بحكم صلاحياته الواسعة ومنها استخدام حق النقض (الفيتو). الا ان تجاهلها سيزيد من حدة ازمته الداخلية ويدفع الشعب الامريكي اكثر الى المطالبة بانهاء هذه الحرب وعودة ابنائه احياء وليس في اكياس سوداء.

لكن بوش ما زال، على ما يبدو، مصرا على رفض الانسحاب او التراجع، والمضي قدما في هذه الحرب لحين اكمال المهمة على حد قوله. ولذلك فهو في حاجة ماسة لتحقيق اي نجاح حتى وان كان وهميا، لاسكات خصومه من الديمقراطيين او المطالبين بالانسحاب، ويعتقد بوش بان لقاءه بنوري المالكي واصدار الاوامر له وتهديده بالامتثال لها وتنفيذها على وجه السرعة تحت طائلة العقاب بعزله، سيحقق له مثل هذا النجاح. فما تبقى له في البيت الابيض لا يزيد على السنتين قبل نهاية ولايته الثانية والاخيرة. ودعونا من المديح الذي تكرم به بوش على المالكي خلال المؤتمر الصحافي في عمان، والغزل بشجاعته ورجولته وحسن قيادته، فهذه عدة الشغل كما يقال.

طلبات بوش من نوري المالكي محددة، كما جرى الحديث عنها من قبل بعض المصادر المطلعة، وهي ذاتها التي توصلت اليها، مجموعته الخاصة، التي يتقدمها مستشار امنه القومي ستيفن هادلي بعد زيارته لبغداد الشهر الماضي. وتضمنت كما قيل ست نقاط: اولها اصدار عفو شامل عن المسلحين وفتح قنوات معهم وتوسيع مبادرة ما يسمى بالمصالحة الوطنية والغاء هيئة اجتثاث البعث واشراك البعثيين في الحكم وتعويضهم عن السنوات الأربع الماضية وحل الميليشيات وتقديم قادتها المتورطين بالجرائم للمحاكمات وتجميد قانون الأقاليم والفيدراليات ووضع خطة توزيع عادل للنفط على العراقيين.

ومما يدعونا الى الاستغراب هو بؤس هذه المقترحات، كونها اصبحت مقترحات مهترئة وبائدة، فقد سبق وان جربت مرات عديدة وكان مصيرها الفشل. فالمقاومة العراقية قد رفضت الدخول في اي عملية سياسية او مفاوضات مع الاحتلال قبل الاعلان عن سحب قواته دون قيد أو شرط، واصدرت عدة بيانات واضحة وصريحة بهذا الخصوص. وتطمين السنة المعادين للاحتلال بتجميد قانون الاقاليم لتشجيعهم على الدخول في مشروع المصالحة الوطنية ثم العملية السياسية قد ولى زمانه، فهيئة علماء المسلمين على سبيل المثال، قد غسلت يدها قبل عدة شهور من العملية السياسية ومشاريع المصالحة الوطنية، واعتبرتها باطلة لانها تجري في ظل الاحتلال، في حين ان تجميد قانون الاقاليم لن يغير من واقع الحال شيئا، لا في شمال الوطن ولا في جنوبه، فمسعود البرزاني يحث الخطى من اجل الانفصال في اقرب وقت ممكن، وعبد العزيز الحكيم وبالتعاون مع ايران يحث هو الاخر الخطى لفصل الجنوب، على الرغم من رفض غالبية سكانه لمشروع تقسيم العراق. وكذلك الحال بالنسبة لحل الميليشيات التي تنتمي اصلا الى الاحزاب الحاكمة التي لا يمكنها البقاء بدونها. اما توزيع عائدات النفط على العراقيين بالتساوي فهذه نكتة سمجة، فامريكا التي احتلت العراق من اجل السيطرة على النفط باعتباره واحدا من اهم اهداف الاحتلال، لن تتحول الى مشرف او موزع ارزاق على الناس . وما هي الا ايام أو اسابيع ونرى كم كان بوش غبيا بامتياز.

من مصائب الديمقراطية على الطريقة الامريكية هو عدم قدرة الامريكان على قراءة الواقع، والاقرار بان المعركة التي تدور رحاها في العراق هي ليست بين قوات الاحتلال وبين متمردين او ارهابيين، ولا بين الحكومة او المعادين لها سواء من داخلها او من خارجها، وانما المعركة تدور بين المقاومة العراقية وقوات الاحتلال، والمقاومة العراقية ليست حالة غريبة او طارئة كي تنتهي مع مرور الايام والسنين، فهي امتداد لكل المقاومات عبر التاريخ، ضد الغزاة والمحتلين. وهي شبيهة تماما من حيث طابعها العام بالمقاومة الفرنسية والسوفياتية والبولونية واليوغسلافية وغيرها ضد الاحتلال النازي وشبيهة بالمقاومة في كوريا الشمالية والفيتنام وكمبوديا والدومنيكان ومقاومة حلف الوحدة الشعبية في تشيلي وساندينيا في نيكاراغوا والاتحاد الوطني في كولومبيا الخ . وفي ارضنا العربية نذكر المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي والمقاومة الفلسطينية واللبنانية التي لاتزال قائمة ضد الكيان الصهيوني.

كان على بوش وصقور الحرب ان يدركوا هذه الحقائق، ويحزموا امتعتهم ويرحلوا، بدل البحث غير المجدي عن حلول ومقترحات وتوصيات خائبة، سبق وان جرى تطبيقها واثبتت فشلها فيما بعد. خاصة وان المقاومة العراقية بشقيها المسلح والسياسي، هي مقاومة مستمرة كونها مشروعة سماويا ودنيويا، وامتدت جذورها في وجدان المواطن العراقي وتحولت الى ثقافة مقاومة بدل ثقافة اليأس والاستسلام للامر الواقع، وان هذه المقاومة اصبحت لحمتها الصمود وسداها الارادة، وانها كسرت كل حواجز اليأس والاستسلام وكل انواع الحصار وانها لن تتوقف قبل تحرير البلاد من الاحتلال البغيض. بالمقابل فان المقاومة العراقية قد وضعت اقدامها بثبات على طريق النصر المؤزر، ولذلك فهي غير مستعدة للمساومة مهما كانت التنازلات مغرية، وهذا ليس غريبا على الشعب العراقي وشعوب الارض كافة. فالمقاومة في نهاية المطاف حالة ترتبط بالشعوب الحية التي تؤمن بالحق والعدل وترفض الظلم والعدوان. وهي تمثل اصلا النضال الحقيقي والواقعي ليس ضد الاحتلال فحسب وانما ايضا ضد الظلم والاستبداد والتعسف. ناهيك عن ان المقاومة في العراق استندت على مشروع متكامل اساسه تحرير العراق واقامة النظام الديمقراطي التعددي.

ان تكون المقاومة العراقية ضعيفة وهشة ويمكن القضاء عليها مع مرور الوقت، فهذا يبرر لبوش اصراره على اكمال المهمة وتحقيق النصر. اما ان تكون المقاومة العراقية بهذه القوة وهذا الاتساع والكفاءة والقدرة على الحاق الخسائر بقوات الاحتلال، فهذا يتطلب من بوش وادارته التوقف عن الغطرسة والقبول بالامر الواقع، بدل الصراخ برفض الانسحاب او التراجع، لان ذلك يعد حماقة اكبر من حماقة احتلال العراق، وتلحق افدح الخسائر بامريكا سياسيا وعسكريا واقتصاديا مما يفقد امريكا هيبتها وسمعتها كاكبر قوة في العالم، بحيث لا تستطيع بعدها ان تأمر وتنهي وترفع عصاها الغليظة ضد من لا يسير في ركابها. وسيكون بامكان اي دولة صغيرة ان تجابه الولايات المتحدة اذا اعتدت عليها سياسيا او عسكريا، متخذة من المقاومة العراقية مثالا لها.

على اي مبررات تستند رؤيتنا هذه؟

البعض يعتقد بان دخول ايران وسورية بقوة الى جانب امريكا وقيام المالكي بتنفيذ اوامر بوش ومقترحاته التي ورد ذكرها ونقل ما يقارب 30 الف جندي من محافظة الانبار الى بغداد لاعادة احتلالها، سيقلب المعادلة ويضعف المقاومة العراقية، الامر الذي يدفع القوى الوطنية المعادية للاحتلال الى الاستسلام للامر الواقع ويشجعها على الدخول في العملية السياسية. ومثل هذا الاعتقاد لا يخلو من قيمة أو فائدة، خاصة وان اجهزة الاعلام الامريكية بدأت بالحديث عن استراتيجية جديدة ستعلن حسب مستشار الامن القومي ستيفن هادلي خلال اسابيع وليس اشهر، وفيها من عناصر القوة ما يكفي لتجاوز جميع العقبات التي تعترض تحقيق الانتصار المطلوب. ومنها ارسال الآلاف من القوات الامريكية الى العراق واحتمال اشراك قوات عربية واسلامية . لكن امرا كهذا في حال حدوثه لن يشكل قيمة استراتيجية من شأنها ان تغير مجرى الصراع لصالح قوات الاحتلال، فطبيعة القوى المتصارعة وتباين اساليبها القتالية، تؤكد بان القوات المنظمة واينما تواجدت ومهما زاد عددها تظل عاجزة امام حرب العصابات او حروب التحرير.

بول كندي صاحب كتاب نشوء وسقوط القوى العظمى، كتب في جريدة الفاينشنال تايمز قبل ايام من احتلال العراق : بان امريكا في حال احتلالها العراق ستؤتي بالسلاح الذي لا تتوقعه كما تؤتي اسرائيل الان بالعمليات الانتحارية .. ان اسلحة بسيطة وبدائية ربما ستؤدي الى سقوط القوة الامريكية. اما جون لوكار وهو اشهر روائي بريطاني معاصر، توقع نفس الشيء بسبب عنجهية وغطرسة امريكا، حيث وصفها في نفس الفترة بان امريكا دخلت مرحلة جنون تاريخي هي الاسوأ من المكارثية واشد كارثية من حرب فيتنام، وفي هذا المجال هناك العديد من خبراء حرب العصابات وحروب التحرير توقعوا مثل هذه النتيجة. وعلى ارض الواقع فان نبوءات هؤلاء قد تحققت، فالمقاومة العراقية تسير في طريق الانتصار، بينما القوة العظمى تسير في طريق الهزيمة والسقوط. ولن ينقذها عنتريات بوش واصراره على البقاء حتى تحقيق النصر فهذه ليست استراتيجية النصر وإنما هي مجرد شعار يمكن استخدامه في السياسات الداخلية ولكنه يصبح فاقداً للمعنى في ميادين القتال.

ومع ذلك فالمقاومة لن تقف مكتوفة الايدي امام مثل هذه المستجدات، أو تبقى متمسكة بنفس الاساليب والطرق في ادارة عملياتها القتالية والسياسية . فالمقاومة العراقية اشتد عودها وتجاوزت سن الرشد وتحتضن خيرة ضباط الجيش العراقي ذوي الخبرة القتالية العالية، التي تم اكتسابها من خلال تمرسهم في حروب فعلية. وليس على الورق او في الكليات العسكرية فحسب. وهذه الحقائق والوقائع العنيدة من المفترض ان تولد قناعة لدى الادارة الامريكية ورئيسها بوش وتجبرهم على الاقرار، بان لا طريق امامهم سوى الرحيل والخروج من العراق بماء الوجه. اما اذا اصر بوش على التمسك باوهام القوة والنصر وقلب الحقائق رأسا على عقب وتغطية فشل مشروع الاحتلال، بالحديث عن انجازات وهمية حول الديمقراطية والانتخابات والدستور وحكومة الوحدة الوطنية. كما فعل في المؤتمر الصحافي الذي عقده مع المالكي في عمان. فان ذلك لن يجلب له ولامريكا غير الهزيمة المنكرة.

ان شعبا كالشعب العراقي الذي قرر المقاومة وصمم على تحرير ارضه ولديه الاستعداد لتقديم التضحيات مهما كانت جسيمة، لا بد وان يكون النصر حليفه، وهذه حقيقة غير قابلة للشك او التأويل. وفي مناسبة كهذه يقال ونقول ان غدا لناظره قريب.

* كاتب من العراق

اياكم واغفال العدو الرئيسي!

محمد صادق الحسيني

■ في علم السياسة والاجتماع يلعب مفهوم «تقدير الموقف» و«تحديد الاولويات» تأثيرا بالغا في نجاح هذه السياسة او تلك وتاليا هذه القوة السياسية والاجتماعية او تلك!

وفي المنعطفات من حياة العمل السياسي والاجتماعي فان «تقدير الموقف» الصحيح و«تحديد الاولويات» بشكل صحيح يصبحان من اولى الاولويات في نجاح مشروع القوى الطالبة للتغيير والاصلاح او فشلها لصالح خصومها.

في العراق الجريح كما في لبنان الممتحن اليوم تجد قوى الاصلاح والتغيير المناهضة للهيمنة والتبعية والاستبداد نفسها امام امتحان دقيق وشفاف ان اخطأت في تقدير الموقف الصحيح فيه او وضعت الاولويات في غير ترتيبها الصحيح فانها ذاهبة الى المكان الخطأ والمعركة الخطأ ولن تحصد في النهاية سوى الفشل المحتوم!

كيف ذلك؟! في العراق الاسير والمحتل والفاقد للسيادة والاستقلال الناجز والمنهوبة ثرواته منذ ساعة الغزو المشؤوم ظهر الاحتلال الامريكي وزبانيته باعتبارهم العدو الرئيسي للشعب العراقي بكافة طبقاته واطيافه ومشاربه واديانه وطوائفه ومذاهبه، لانه جاء وبحسب كافة التقديرات بما فيها تقديرات حلفائه واصدقائه للتحكم بمصادر الطاقة والقرار في مقدمة للسيطرة والهيمنة على مساحة بمدى «الشرق الاوسط الكبير» وكل ما عدا ذلك من شعارات او تحالفات رفعها انما كانت ولا تزال تستهدف ذر الرماد في العيون.

نعم ثمة قوى عالمية اخرى تحالفت مع هذا الامريكي ـ البريطاني او الانكلوسكسوني المحتل واخرى سكتت او وقفت على الحياد وثمة قوى اقليمية عربية او غير عربية ساندت او «سامحت» او «انتهزت» الفرص لتحقيق مآرب او اطماع خاصة بها وآخرون من ضعاف النفوس من «اهل الداخل» العراقي وقعوا في فخ شعارات او طروحات او اضاليل المحتل وزبانيته وقعوا هم بدورهم في حبائل ومكائد المحتل الخداعة او الجذابة! وظهرت الفتن والتناقضات الداخلية والاقليمية باعلى درجاتها خلال السنوات الثلاث الماضية لتصل احيانا الى درجة «التناقض الرئيسي» او هكذا كان يجب ان تظهر وتتبلور كما كان ولا يزال يخطط المحتل ويتوق ويتشوق! لماذا؟ لانها جزء من المشروع والخطة المعدة لهذا الغرض.

وعليه نستنتج ونقول: «ان كل من يضع في اولوياته اليوم محاربة طائفة لحساب طائفة اخرى او حزب لصالح حزب آخر او قومية لحساب قومية اخرى او دولة مجاورة لحساب دولة مجاورة اخرى او لا يزال يعيش في اوهام خطر حكومة صدام حسين او حزب البعث البائدة، او يجعل منها فزاعة لتحقيق مآربه الميليشياوية الحاقدة والضيقة، او كل من يضع في اولوياته محاربة دولة مجاورة عربية او اسلامية بحجة او ذريعة انها تدعم هذه الجهة او تلك او انها ترسل المقاتلين او السلاح او ان لديها مطامع او مطامح قومية او ايديولوجية او مذهبية فهو في الحالتين مخطئ ويساهم من غير ان يدري في مخطط الاحتلال الامريكي والغزو الانكلوسكسوني لبلاد الرافدين والعالمين العربي والاسلامي.

ان تصويب البنادق ضد الهدف الرئيسي وتحديد الاولويات في اتجاه حسم الصراع الرئيسي وهزيمة العدو الاساسي للشعب العراقي الا وهو الاحتلال الانكلوامريكي هو وحده الكفيل بهزيمة كل الاعداء الثانويين والعملاء الصغار وضعاف النفوس من مثيري الفتنة والاحقاد مهما بدوا في لحظة معينة وكأنهم الخطر الاكبر!

في لبنان ايضا وان كان الموقف افضل بكثير واكثر وضوحا لدى قوى الاصلاح والتغيير فان يذهب باتجاهات الصراع نحو ما يسمى بالمحور السوري ـ الايراني مثلا او تعبأ النفوس والاذهان ضد ما يسمى «بدويلة» حزب الله الشيعية او يتباكى على مشروع او مشاريع رفيق الحريري «الازدهارية» او يحرض على من يسميهم «اعداء الزعامة السنية» او يُطبل ويزمر «للبنان اولا» على حساب عروبة لبنان ومحيطه الاسلامي فانه خادم للعدو الصهيوني وامريكا بامتياز حتى لو كان يحمل شهادة حسن سلوك قومية او دينية من شخص المرحوم جمال عبد الناصر او الشهيد كمال جنبلاط او من اي مرجع اسلامي سنيا كان او شيعيا او من اي مرجع كنسي مهما علا مقام هذه المرجعيات!

ان الكتل الجماهيرية الكبرى وخاصة بعد النجاحات الباهرة للمقاومة العراقية الباسلة والشريفة والنظيفة والتي لم تتلوث ايديها بانجاس الطائفية والحقد المذهبي والتكفيري، وكذلك بعد الانتصارات العظيمة والعملاقة للمقاومة الاسلامية اللبنانية ورفعها لرؤوس الامة وتسجيلها لاهم درس يمكن ان يقدم للمحتلين والغزاة ان هذه الكتل الجماهيرية الكبرى لن تغفر بعد اليوم لاي كان مهما علا شأنه او ارتفع مقامه في السياسة او الاجتماع اذا لم يعد الى رشده ويقول كلمته التاريخية التي تحرم الاقتتالات الثانوية وتحرم التعامل مع عبيد السفارات والقناصل في كل من العراق ولبنان ويصوب غضبه وحقده وبندقيته ضد المحتل الغازي.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet*: ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN